

مأسسة الجهود الرامية إلى مجابهة التنصير



عصام زيدان

باحث في الشؤون السياسية Essam_zedan30@hotmail.com

ملخص الدراسة

تواجه المجتمعات الإسلامية تحديات بالغة الخطورة، في اللحظة الراهنة، ومن أبرز هذه التحديات حروب التنصير التي بدأت مبكرًا، منذ أن سطع نور الإسلام، وما زالت حتى الآن، متخذة على مدار التاريخ أشكالًا وأنماطًا متعددة، فتارة نراها في صورة سافرة متمثلة في الحروب الصليبية، وتارة نراها تتدثر بثوب الأعمال الإنسانية والاجتماعية والإغاثية.

وأيا ما كان شكلها، فثمة أهداف واضحة لهذه الحملات، تتنوع وتتعدد، فتراها في حين أهدافًا دينية خالصة تسعى لفتنة المسلمين وردّهم عن دينهم، وتارة تراها ذات أهداف سياسية تهدف للسيطرة على بلاد المسلمين ومقدراتهم، وثالثة تكون ذات أهداف ثقافية وحضارية تسعى لإزاحة حضارة الإسلام من قيادة البشرية. وتقف من وراء هذه الحملات التنصيرية دول عظمى، اقتصاديًا وسياسيًا، تُظهر العلمانية، وتُبطن الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين، وتتمالاً معها منظمات دولية وهيئات اجتماعية واقتصادية وإغاثية تسير في ركبتها، وتحقق لها أهدافها.

وهذه الحملات تلجأ كل حين إلى مجموعة من الوسائل والممارسات المتنوعة التي تحاول بها خداع المسلمين لتدسّ إليهم التنصير مع مشرط الطبيب، ورحلة الإغاثية، وكتاب المدرسة، وقصة الأديب، وغيرها من الوسائل والأساليب المتجددة والمتنوعة.

لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام هذه الحملات، وكانت وما تزال المواجهة مستمرة، من خلال الكتب، والإصدارات، والفضائيات، والرحلات الإغاثية، والدعوية، محققة قدرًا من النجاحات على مستوى الدول العربية. ولكن هذه الجهود لم تصمد كثيرًا أمام حملات التنصير، خاصة في الدول الإفريقية، التي يفشو فيها الجهل وقلة الموارد، وهما الأمران اللذان استغلتهما حملات التنصير بصورة واسعة؛ حيث واجهتها تحديات جسيمة، قللت من فاعلية هذه الجهود التي اعتمدت في غالبها على مبادرات ذاتية ومجهودات فردية.

وفي سبيل تطوير مواجهة حملات التنصير كان من الضروري مأسسة الجهود المبذولة لتنظيم في عقد واضح المعالم، يسير بخطوات علمية مدروسة، وتخطيط استراتيجي بعيد المدى، بأهداف محددة واضحة، منطلقًا من دراسة علمية لأبعاد التنصير، متجنبًا سلبيات العمل الفردي الذي لا يقوى بمفرده على مواجهة مثل هذه الحملات التي تقف وراءها مؤسسات بل دول عظمى شديدة المكر والدهاء، عظيمة الموارد والإمكانات.

مأسسة الجهود الرامية إلى مجابهة التنصير



عصام زيدان

باحث في الشؤون السياسية Essam_zedan30@hotmail.com

تمهيد:

تعد الحملات التنصيرية متجددة بطبيعتها، وتعتبر أبرز الوسائل التي تهدد قيم ومفاهيم المجتمعات الإسلامية، ومن هنا كان من الضروري الوقوف على التنصير، من حيث مفهومه، وأهدافه، ووسائله، في محاولة للخروج بوقفة علمية موضوعية حول مأسسة الجهود لمواجهة.

أهمية البحث ودوافعه:

والبحث في التنصير يستمد أهميته من أمرين:

١- ضرورة التوعية بأخطاره، خاصة إذا علمنا أن نشاطه يزداد يوماً بعد يوم، وأن المجتمع المسلم يُعد من أكثر المجتمعات تعرضاً له.

٢- حاجتنا إلى تكوين تيار مضاد، ينطلق من معرفة شاملة بكل ما يتعلق به؛ لأن مواجهة أي أمر لا تكون إلا بمعرفته معرفة شاملة، ثم الانطلاق لمجابهته.

تعريف التنصير:

١- التنصير لغة: «مأخوذ من مادة (نصر)، والتَّصَّرُّ هو الدخول في النصرانية، ونَصَّرَه: جعله نصرانياً»^(١). وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٢).

وقريب منه قول الفيروز آبادي: «والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصرانية أيضاً دينهم، ويقال نصراني وأنصار، وتَصَّرَّ دخل في دينهم، ونَصَّرَه جعله نصرانياً»^(٣).

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٢١٠.

(٢) صحيح البخاري (٤٤٧٥).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ج ٢، ص ١٤٢.

المبحث الأول تاريخ التنصير

ونتناول هذا المبحث في فرعين:

الفرع الأول: تاريخ بداية التنصير:

من الوجهة النظرية لم يكن مفهوم التنصير ظاهرة جديدة، بل يزعم النصارى أن هذا الأمر صدر لهم من المسيح حين قال: «فأذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس»^(١). فيزعم النصارى أنه بموجب هذا الأمر كان لا بد لهم أن يسيروا لتبليغ النصرانية إلى الأمم.

ومن الناحية العملية تختلف الآراء في التاريخ لبداية التنصير، ويمكن أن نميز بين ثلاثة آراء:

الأول: يرى أن ميلاد التنصير جاء متزامناً مع بزوغ الإسلام، فمع التحول المتتابع الذي رأت فيه المسيحية استنزافاً وتآكلاً ينذر بضمور وجودها لجأت إلى محاولة التنصير السلمي تارة والمسوح تارة أخرى.

الثاني: يرى أن التنصير تزامن مع الحروب الصليبية؛ «حيث شكّل الصراع بين المسلمين والنصارى بوضوح أكثر إبان الحروب الصليبية، التي لا تعدو كونها شكلاً من أشكال التنصير، اتبعت فيه القوة والغزو العسكري»^(٢).

ويذكر محمد مؤنس عوض أن الرحالة المسلم ابن جبير أدرك البعد التنصيري للحملات الصليبية؛ إذ علم بالدور الصليبي الخطر في تغيير هوية المنطقة، وتحويلها عن الإسلام، فيذكر أنه «بعد خضوع عكا لسيطرة الصليبيين؛ تحولت مساجدها وصارت كنائس، وصوامعها صارت محل أحد النواقيس»، وفي مثل ذلك التعبير نجده يكشف بجلاء عن دور

(٥) إنجيل متى الإصحاح ٢٨ (١٨ - ٢٠).

(٦) الحركة الصليبية، سعيد عبد الفتّاح عاشور، ج ٢، ص ١٢٦، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.

٢- التنصير اصطلاحاً: «هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بصفة عامة، وبين المسلمين خاصة؛ بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب»^(١).

وعُرف بأنه: «دعوة الناس للدخول في النصرانية؛ فإن لم يدخلوا فيها فليخرجوا من دينهم، وخاصة المسلمون»^(٢).

ويطلق البعض على حركة التنصير (التبشير)، والتبشير في اللغة: «مأخوذة من مادة (بشّر)، يقال بشّره تبشيراً من البشرى»^(٣).

والتبشير: «هو الدعوة إلى النصرانية، ومحاولة دفع الناس إلى الدخول فيها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة»^(٤).

ويمكننا تعريف التنصير بأنه الجهد الكنسي الذي يقوم به الدعاة النصارى، والذي يهدف إلى إدخال الشعوب في النصرانية.

وهذا التعريف راعينا فيه

المفهوم الأساس الذي يقوم عليه التنصير، والمتمثل في محاولة إدخال غير النصارى في النصرانية، وإن كان للتنصير أهداف أكثر من ذلك على نحو ما سنرى عند التعرض لأهدافه.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية، ج ١، ص ١٢٠.

(٢) أصول التنصير في الخليج، تأليف هـ. كونوي زيفلر، ترجمة مازن مطبقاني، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، ص: ٧.

(٣) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ج ٤، ص ٥٩.

(٤) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح، مكتبة الصحابة، ص ٣٥.

والتدريس والتدريب، والتطبيب وأعمال الإغاثة»^(٤). وبالجملة نقول: إن التنصير في حقيقته هو الامتداد الحقيقي للحروب الصليبية، فلئن كانت الحروب الصليبية حملات عسكرية؛ فإن التنصير حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه.

الفرع الثاني: حركة التنصير المعاصرة:

أما بالنسبة لحركة التنصير المعاصرة فيعتبر صمويل زويمر هو مؤسسها داخل العالم الإسلامي الذي كان رئيساً لجمعيات التنصير في الشرق الأوسط، وأسس مجلة «العالم الإسلامي» الإنجليزية سنة ١٩١١م.

وفي هذه الأثناء بدأ التنصير يأخذ طابع التنظيم من خلال وجود مجموعة من المؤسسات والإرساليات التنصيرية، تنظمها وتدعمها الهيئات الدينية على اختلاف طوائفها والحكومات الغربية بصفة خاصة، وظهرت للتنصير مؤسسات، كالمعاهد والجامعات والمنظمات.

وخلف زويمر في رئاسة مجلة «العالم الإسلامي» منصر آخر هو «كنيث كراج» الذي عمل بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

والى هذا الحد التاريخي «ينبغي استثناء مسيحيي الوطن العربي من نشاط حركة التنصير، وما يتصل بها؛ إذ لا علاقة لهم بها، فهي أوروبية قلباً وقالباً، وقصدت تحقيق أهداف الحركة الصليبية في بلاد المسلمين»^(٥)، ولكن الأوضاع ما لبثت أن تغيرت ودخلت الكنائس العربية، خاصة في مصر والمغرب العربي، على خط التنصير.

الصليبيين في تغيير هوية المنطقة الإسلامية ومحاولة تنصيرها من خلال القضاء على الدور المهم لأماكن العبادة الإسلامية»^(١).

الثالث: يُرجع بداية التنصير إلى نهاية الحروب الصليبية؛ إذ تقول الندوة العالمية للشباب الإسلامي: إن التنصير بدأ بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية في القضاء على الإسلام بالمواجهة العسكرية.

وتنقل عن أرنست باكر قوله: «وفي القرن الثالث عشر الميلادي، بدأ نشاط تبشيري ضخم، وهذا النشاط إنما نجم عن الحروب الصليبية والاتصال بالمسلمين، وعلى الرغم من أنه أسهم في وقف الحروب الصليبية، فما قام به من غزو النفوس من الناحيتين السلمية والروحية يعتبر بديلاً عن الحروب»^(٢).

وكان الملك لويس هو أول من حدد مهمة المنصر، بعد أسره في آخر الحملات الصليبية، فكان من أفكاره تحويل الحملات العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه، وأشار على البابا أنوسنت الرابع بإنشاء أول جمعية للتبشير سنة ١٢٥٣م، وبعد ذلك بدأ التنصير ينمو ويتسارع وينتشر في العالم الإسلامي.

و«كان الإسباني ريموند لول أول من تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية؛ إذ تعلم اللغة العربية، وانطلق يناقش علماء المسلمين ببجاية وبلاد الشام، وينشر النصرانية بين جماهير المسلمين»^(٣)، ويعد من أخطر المنصرين وأشهرهم على الإطلاق على مر التاريخ حتى إن المنصر زويمر اعتبره أستاذه وقدوته، وخططه التي وضعها للتنصير تُعد هي النموذج والدستور الذي سار عليه المنصرون بعد، كالتعليم

(١) الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، محمد مؤنس عوض، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م، ص ٢٨٨ وما بعدها.

(٢) الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٠ وما بعدها.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي، لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، بيروت، مكتبة أسامة بن زيد، ص ١٢ وما بعدها.

(٤) الراهب الفرنسي سكاني ريموند لول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال إفريقيا، علي بن محمد عودة الغامدي، مجلة المؤرخ العربي، مارس ١٩٩٨م، ص ١٢٣.

(٥) مدخل إلى تاريخ التنصير، ممدوح حسين علي، عمان، دار عمار للنشر، ١٩٩٥م، ص ٩.

يتخاذل المسلمون عنها وعن الدفاع عن دينهم.

وقد تكرر هذا الهدف في محاولات زويمر الذي خاض تجربة التنصير في البلاد العربية، وركز على الخليج، وقد أرسل إلى «لوشاتليه» رسالة قال فيها: «لا ينبغي لنا أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين؛ لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم، واعتنقوا النصرانية من طرف خفي»^(٢).

ويرتبط بهذا الهدف محاولة إجهاض اليقظة الإيمانية والصحة الدينية بين المسلمين؛ حيث تشكل الصحة الإسلامية خطراً حقيقياً على المنصرين وخططهم.

٣- محاولة وقف انتشار الإسلام:

ومن أهدافه وقف المد الإسلامي وتقليل انتشاره على مستوى الأقاليم والبلدان، والحيلولة دون اعتناق الأمم الأخرى كالهندوس والبوذيين له، «فقداء الغرب يدركون أن الإسلام قوة غالبية، وأنه متى عُرض على الناس؛ عرفوا فيه الحق والهدى، فيقبلون عليه، ويقبلونه، لذلك فهم يحاربون الإسلام خشية توسعه وانتشاره، ويسلكون لذلك كل السبل»^(٣).

وأما عن بلادهم «فيسعون جاهدين لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر الشعوب الأوروبية، سالكين كل طريقة ممكنة في ذلك، كنشر المعلومات المغلوطة عن الإسلام وأتباعه؛ سعياً بذلك لتعميم صورة نمطية واحدة مشوهة عن الإسلام وأهله، وعلى رأسهم رمز الإسلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم»^(٤).

(٢) التنصير في الأدبيات العربية، د. علي إبراهيم النملة، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ٣٤ وما بعدها.

(٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفايس، عمان، الأردن، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ١٢٧.

(٤) ربحت محمداً ولم أخسر المسيح، د. عبد المعطي الدالاتي، مؤسسة الرسالة والدار المتحدة، سوريا، ص ٧٨.

المبحث الثاني أهداف التنصير

في العالم الإسلامي

الباحث في أهداف التنصير يجد أن أهدافه متعددة، يجاهر بها بعضُ ساستهم ورجال الدين والفكر والاقتصاد مجاهرة لا موارد فيها، كما يحاول بعض هؤلاء أن يكتتموا حقيقة أهدافهم بضروب من المراوغة تأخذ طابع الدعاوى العريضة، مثل: الرسالة الإنسانية، ونشر الحضارة وبث المدنية، والنهوض والتقدم.

ويمكن أن تصنف تلك الأهداف على النحو التالي:

الفرع الأول: الأهداف الدينية:

١- رد المسلمين عن دينهم:

الهدف الأول للتنصير ذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [سورة البقرة: ١٠٩]، فالباعث الحقيقي لحركة التنصير، هو القضاء على الإسلام، وهذه الغاية لم تتغير عبر العصور، وإن اختلفت الخطط والوسائل المستخدمة.

وفي هذا يقول روبرت ماكس أحد المنصرين في أمريكا الشمالية: «لن نتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويُقام قداس الأحد في المدينة»^(١).

٢- تشكيك المسلم في دينه:

أدرك المنصرّون عظمة الدين والثقافة الإسلامية، وما تُكسبه لأفرادها من قوة وعزة وثقة، فوجّهوا سهامهم نحوها، يشوّهونها ويحطّون من شأنها حتى

(١) الزحف إلى مكة، حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، عبد الودود شلبي، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٩م، ص ١٢.

ويقول القس كالهون سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية، ويجب أن نحول بالتبشير مجاري التفكير في هذه الوحدة حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين»^(٢).

٣- صناعة النخب الموالية واستغلالها:

ومن بين أهداف التنصير كذلك صناعة النخب الموالية، وخاصة الرؤساء من بين أوساط المسلمين، حتى يحكم بلاد المسلمين حسب مرادهم وأهدافهم، فالرئيس «سنجور» الحاكم السابق للسنغال نصرته مدرسته، بينما لا يزال أهله مسلمين والداه وإخوته، وقد تولى النصارى إعداده ليتولى حكم دولة مسلمة بنسبة ٩٩٪، ويحارب فيها الإسلام، ويُعمل الأسلحة في المسلمين، وبعد أن افتضح أمره؛ تفرغ للتنصير.

الفرع الثالث: أهداف ثقافية وحضارية:

تعددت ملامح هذا الهدف، ولعل من أبرز تلك الملامح:

١- التغريب:

فالمنصرون يسعون إلى نقل المجتمع المسلم في سلوكياته ونظمه من أصالتها الإسلامية إلى تبني الأنماط والنظم الغربية في الحياة المستمدة من خلفية دينية نصرانية، والإيحاء بأن تلك التعاليم والمثل أفضل من أي مبادئ ومثل أخرى؛ لتحل هذه المبادئ النصرانية محل المبادئ والقيم الإسلامية، وبذلك يتحقق للمنصرين إنشاء جيل من المسلمين يحب ويحمل أفكار الغرب وحضارته.

وهذا ما يشير إليه المنصر استررد كروفورد بقوله:

(٢) قراءة في ملف الاستشراق، مرجع سابق.

٤- دعم الأقليات المسيحية وتثبيتها:

تقوية الأقليات غير المسلمة، ولاسيما النصارى منهم، وحمايتهم من أي دين أو فكر غير الفكر النصراني، ولاسيما دين الإسلام، والحيولة دون دخول النصارى فيه، وخاصة في المجتمعات الإسلامية.

الفرع الثاني: الأهداف السياسية:

تبنت الدول العظمى رايات التنصير؛ لأنه يحقق لها الأهداف التي تتطلع إليها، وهذه بعض أهدافها السياسية من التنصير:

١- التجسس على بلاد المسلمين والسيطرة عليها:

ومما يؤكد هذا الهدف أن الهيئات والمؤسسات التنصيرية تجد دعماً اقتصادياً وسياسياً ضخماً من الدول الغربية، ومن الفاتيكان، والمنظمات الدولية التي تسيطر عليها هذه الدول.

وعن هذا الهدف يقول لويس التاسع: «إنه لم يعد في وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام، وإن هذا العبء لا بد أن تقوم به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام ثم تقضي عليه، ويتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون تملكها لآسيا وإفريقيا»^(١).

٢- بث الفرقة بين بلاد المسلمين:

وعن هذا الهدف يقول المبشر لورانس براون: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير»^(٢).

(١) حقيقة التبشير، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص ١٥٢.

(٢) قراءة في ملف الاستشراق ٤/٢، شبكة المشكاة الإسلامية، د. يوسف محمد صديق:

<http://www.meshkat.net/index.php/meshkat/index/6/6394/c>

ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أرادته الاستعمار لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات»^(٢).

وهذه فقط بعض أهداف التنصير، وأعظمها خطراً، على أن التنصير قابل لإدخال أهداف جديدة مع مرور الأيام.

المبحث الثالث: الجهات الداعمة للأنشطة التنصيرية، ووسائلها

ونتناول هذا المبحث في الفروع التالية:

أولاً: الجهات الداعمة للأنشطة التنصيرية:

تقوم عدة مؤسسات بدعم الأنشطة التنصيرية، ومنها:

١- مجلس الكنائس العالمي والفاثيكان؛ حيث يقومان بالإشراف والتوجيه والدعم المالي لكافة الأنشطة التنصيرية.

٢- المنظمات الدولية، وهي على اختلاف مهامها تسير حسب التوجيهات الغربية في التعامل مع الآخرين، وتخدم الأنشطة التنصيرية.

٣- الشركات ورجال الأعمال؛ «حيث تقدم شركة مايكروسوفت دعماً للتنصير بحوالي ٢٠٠ مليون دولار سنوياً تُرسل إلى الجمعيات التنصيرية والكنائس في غرب إفريقيا، وللتصدي للمد الإسلامي»^(٤).

(٢) صمويل مارينوس زويمر، موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية، رابط: http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D9%85%D9%88%D9%8A%D9%84_%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%86%D9%88%D8%B3_%D8%B2%D9%88%D9%8A%D9%85%D8%B1

(٤) موقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء، رابط: <http://www.nusrah.tv/showthread.php?t=7749>

«إن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطراً من المدنية النصرانية، ويدخلونها في ارتقائهم الاجتماعي، وما دامت الشعوب الإسلامية تتدرج إلى غايات ونزعات ذات علاقة بالإنجيل؛ فإن الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها من غير قصد منها»^(١).

٢- محاولة إقصاء الحضارة الإسلامية:

أدرك المنصرون عظم الحضارة الإسلامية بعقيدتها وثقافتها التي أعطت المسلمين القوة والعزة، فأيقنوا أن أمة لها هذه الحضارة والثقافة لا يمكن أن تخضع وتذل؛ ولهذا كانت مهمتهم تشويه تلك الحضارة، والحط من شأنها في نفوس أصحابها؛ حتى يخلقوا نوعاً من التخاذل والهزيمة النفسية في وجدان المسلمين؛ من أجل إيجاد شعور بالنقص في أنفسهم فيخضعون بعد ذلك للمدنية الغربية، ويفتحون للتنصير طريقاً إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة عن دينهم.

وهذا الصراع الحضاري عبّر عنه «يوجين روستو» مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق جونسون بقوله: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية.. لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة»^(٢).

٣- هدم الأخلاق والقيم:

وهو من أكبر أهداف المنصّرين؛ حيث يقول زويمر: «مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية،... إنكم أعددتكم نشئاً لا يعرف الصلة بالله،

(١) المرجع السابق.

(٢) الإسلام والغرب، د.عبد الودود شلبي، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م، ص٥٦ وما بعدها، مختصراً.

٣- الاستثمارات المالية الهائلة للمنظمات التنصيرية، في الأسواق المالية العالمية، أو عبر الاستثمار في المجتمعات المستهدفة؛ بحيث يتم تحويلها إلى ممول للنشاط التنصيري.^(٢)

الفرع الثالث: الوسائل والتقنيات المستخدمة في التنصير:

وسائل المنصرين في التنصير كثيرة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين اثنين:

أ- التنصير الصريح:

ويعد أبرز الوسائل وأظهرها وأوضحها، وهو على نوعين:

الأول: التنصير العلمي القائم على النقاش والتشكيك.

الثاني: هو التنصير القسري، ويتمثل في الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش واختطاف الأطفال، واضطهاد المسلمين الراضين للتنصير^(٣)، ومن ذلك ما تقوم به الإرساليات التنصيرية من تبني الأطفال، وتسفيرهم من بلادهم، وتعليمهم مبادئ النصرانية، وتنشئتهم عليها.

ب - التنصير الخفي:

ويُنفَّذ بوسائل متعددة، منها:

١- التطبيب:

وفلسفتهم قائمة على أنه حيث تكون الحاجة إلى الطبيب؛ فهناك فرصة مناسبة للتنصير، يقول بول هايسون في كتابه «الطبيب في بلاد العرب»: «لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى».^(٤)

(٢) المرجع السابق.

(٣) المسلمون المنصرون، أو المورسكيون الأندلسيون: صفحة مهمة من تاريخ المسلمين في الأندلس، عبد الله محمد جمال الدين، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٩١م، ص ٥٤٠، بتصرف.

(٤) ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، مرجع سابق، ص ١٩٠.

٤- المنظمات التنصيرية، وتأخذ أحد الشكلين التاليين:

أ- المنظمات التي يحمل اسمها هدفًا تنصيريًا واضحًا، ومن أمثلتها جمعية الشبان المسيحيين، وتعد أكبر جهة مدنية غير كنسية تضم الشباب المسيحيين في العالم العربي، ويتركز أغلبها في مصر والسودان ولبنان والمغرب.

ب - منظمات تعمل في نشاطات خيرية واجتماعية وإنسانية، ولكنها تمارس نشاطًا تنصيريًا بشكل أساسي، ومنها:

١- المنظمات الإغاثية، مثل: العون المباشر، ومجلس الخدمات الأمريكي، والبعثة الأوروبية للإصلاح.

٢- المنظمات العاملة في المجالات الصحية، مثل: أطباء بلا حدود، والصليب الأحمر، ومنظمة الصحة للجميع.

٣- المنظمات الثقافية والتعليمية، ومن أشهرها: الجامعات والمدارس الأمريكية والبريطانية، الفرنسية.

٤- المنظمات النسائية: مثل

جمعيات الراهبات الفرنسيسكان، وينصب نشاطهن على إنشاء المدارس والمستوصفات.^(١)

الفرع الثاني: مصادر تمويل المنظمات التنصيرية:

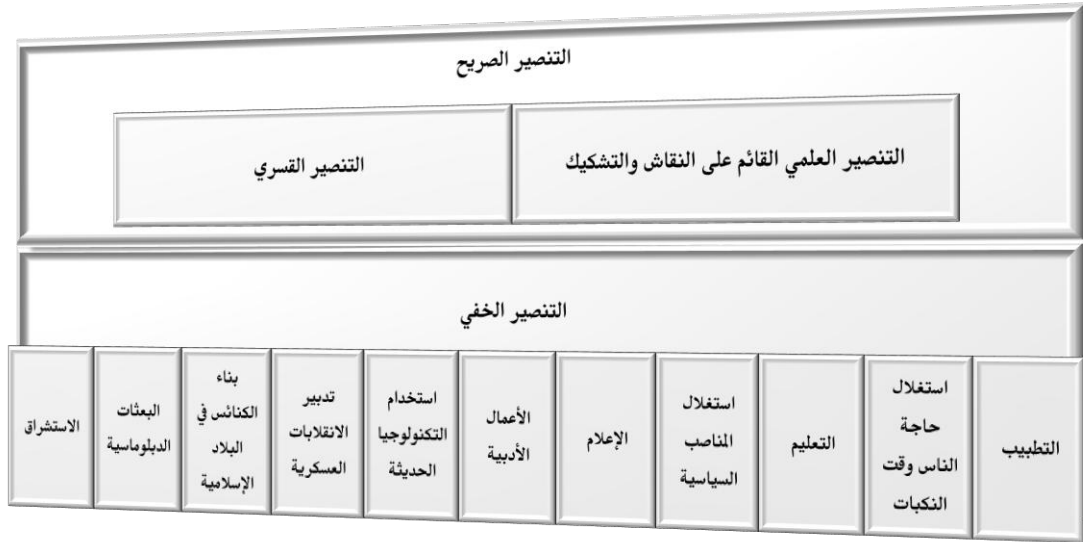
المنظمات التنصيرية لها ثلاثة موارد أساسية، هي:

١- التبرعات التي تأتيها من المجتمعات المسيحية الغنية، والتي تساهم الكنيسة ومجلس الكنائس العالمي في جمعها من العالم المسيحي، الذي يتمتع بوفرة مالية هائلة.

٢- التمويل الحكومي الضخم، الذي تحصل عليه هذه المنظمات، خاصة من بلدان أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

(١) موسوعة مقالات في الصحراء الإلكترونية، رابط: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Denia9/Tanse-ria/sec05.doc_cvt.htm

الوسائل والتقنيات المستخدمة في التنصير



في مؤتمر القدس سنة ١٩٣٥م: «لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر، من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا، على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة، أو التي تخضع للنفوذ المسيحي، أو التي يحكمها المسيحيون حكمًا مباشرًا، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي»^(٢).

٤- استغلال المناصب السياسية:

ومن قبيل ذلك استغلال العاملين النصارى في المجتمعات المسلمة على مختلف مستوياتهم العملية وتخصصاتهم، وتتضح هذه الوسيلة في الخليج العربي؛ حيث تقد مئات الآلاف من الطاقات البشرية.

وكانت هذه الوسيلة من الموضوعات التي ركز عليها مؤتمر المنصرين السادس الذي عُقد في الولايات المتحدة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)؛ حيث أكد أحد رؤساء الجمعيات التنصيرية على ذلك بقوله: «إن الباب أصبح مفتوحًا لدخول النصرانية إلى البلاد المغلقة،

لذا يسعى المنصرون لبذل الخدمات الطبية، وخاصة في الأوساط الفقيرة، استغلالاً لحاجة الناس وعوزهم، ومن خلال هذه الخدمات يحاولون تحقيق أهدافهم التنصيرية.

٢- استغلال حاجة الناس وقت النكبات:

«فقد استغلت المنظمات الإغاثية مصائب الشعوب ومآسيها، فما تحل كارثة بأمة من حرب أو زلزل أو فيضانات إلا ورأيت الجمعيات التنصيرية تنتقل إلى الموقع المنكوب لتقدم للمحتاجين النصرانية مع لقمة العيش وقطعة الكساء»^(١).

٣- التعليم:

والتنصير يضع كل ثقله لاستغلال التعليم، وتوجيهه بما يخدم أهدافهم، ولذلك فهم ينشئون المدارس والمعاهد ورياض الأطفال ليتسلموا فيها أبناء المسلمين، ويربواهم التربية التي يريدونها، وفي هذا يقول زويمر

(٢) جذور البلاء، عبد الله التل، دار الإرشاد، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، ص ٢٧٥.

(١) التنصير يغزو العالم الإسلامي، أحمد عبد الله الرفاعي، مجلة البيان، العدد ١٥٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

حال تعذر عليها التنصير في ذلك البلد، أو ترى فيه نشاطاً للدعوة إلى الإسلام الصحيح، فيبدأ التخطيط لقلب نظام هذا الحكم، وإحلال نظام آخر بديل عنه يأذن لهم بممارسة التنصير.

فقد جاء في إحدى النشرات التنصيرية بأن «الأمير النيجيري أحمد بلو يُعتبر أكبر عقبة في شمال نيجيريا ضد التنصير، بل هو الذي يفتح الباب للإسلام في نيجيريا، وبعد ذلك كان انقلاب أورنس الذي تربي على أيدي المنصّرين، وتولى خلال الانقلاب تلامذة المدارس التنصيرية المراكز القيادية هناك»^(٤).

١٠- بناء الكنائس في البلاد الإسلامية:

بناء أكبر عدد من الكنائس في البلاد الإسلامية والاهتمام بمظهرها، لتكون مكاناً ينطلق منه العمل التنصيري في المنطقة، ولذلك يحرص المنصّرون أن تكون مباني الكنائس شاهقة غريبة المظهر، حتى تؤثر في عقول الزائرين وفي عواطفهم وخيالاتهم؛ لأن ذلك في اعتقاد المنصّرين يقرب غير النصارى إلى النصرانية.

١١- البعثات الدبلوماسية:

حيث يُدرب بعض العاملين في المؤسسات الأجنبية الرسمية من سفارات وغيرها على التنصير قبل انخراطهم العملي في السلك الدبلوماسي، «ومثال ذلك قصة القنصل البريطاني في زنجبار جون كرك الذي دعا سنة ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م الأمين العام لجمعية الكنيسة التنصيرية هنري رايت إلى سرعة إرسال المنصّرين، وأكد على أهمية ذلك الدينية والسياسية للوقوف في وجه ما سماه بالامتداد المصري التركي»^(٥).

وذلك من خلال الشركات الوطنية المتعددة، فهناك فرص لا حدود لها في هذا المجال بالنسبة للمنصّرين؛ حيث الحاجة الملحة إلى مهماتهم لتطوير البلاد»^(١).

٥- الإعلام:

وذلك من خلال تشويه صورة الإسلام ورموزه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فكثيراً ما يلصقون بالإسلام تُهماً كالرجعية والإرهاب، ومن ذلك الحملات الإعلامية والدعائية التلفزيونية على المراكز الإسلامية العاملة في تلك الدول، واتهامها بالعمالة لدول معادية، أو التخطيط لحرب دينية ونحو ذلك، ونشر رسوم كاريكاتورية مسيئة.

٦- الأعمال الأدبية:

«والأدب التنصيري الغربي يهدف في غالبه إلى أمرين:

- ١- تشويه صورة الإسلام والتَّيْل منه، وتوهين عرى الالتقاء بين المسلم وتراثه العقدي والسلوكي.
- ٢- التمهيد لمفاهيم غريبة أشد التصاقاً بالاتجاه الديني النصراني، ولعل هذا يفسر السلوك الغربي المنافى لعقيدتنا في السهرات والاختلاط، وتجاهل القيام بالفرائض، والتخلي عن السنن والآداب الإسلامية»^(٢).

٨- استخدام التكنولوجيا الحديثة:

كاستخدام البريد الإلكتروني، وشبكة الإنترنت، «وقد زودت شركة مايكروسوفت لبرامج الكمبيوترات العالمية المؤسسات التنصيرية ببرامج مجانية بقيمة خمسة ملايين دولار خلال عام ١٩٩٣م»^(٣).

٩- تدبير الانقلابات العسكرية:

فتلجأ المنظّمات التنصيرية إلى تدبير الانقلابات العسكرية، والتواطؤ مع منفذها لتحقيق أغراضها في

(١) ملامح من التنصير في الوطن العربي، إبراهيم عكاشة علي، الرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٢٢

(٢) التنصير يغزو العالم الإسلامي، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) شبكة صحاب السلفية،

<http://www.sahab.net/forums/showthread.php?t=372529>

(٥) لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أوغندا، إبراهيم الزين صغيرون، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ١٧.

١٢- الاستشراق:

٥- الفقر المدقع في بعض الدول الإسلامية، والتي يجد فيها المنصرون التربة الخصبة لنشر النصرانية فيها بوسائلهم الإغاثية كما يحدث في بعض دول القارة الإفريقية.

وبالجمله فإن حجم الوسائل والتقنيات الحديثة المستخدمة في التنصير أصبح من الضخامة إلى حد ضرورة عمل دراسات متخصصة لمعرفة هذه الوسائل والتقنيات، ونوع الرسالة التي تقدمها، ومدى تأثيرها.

وتقدمها، ومضمون هذه الرسالة والمساحة الجغرافية التي تغطيها ومدى تأثيرها.

المبحث الرابع: جهود المسلمين لمجابهة حروب التنصير

نتناول هذا المبحث في ثلاثة فروع كالتالي:

الفرع الأول: جهود المسلمين لمواجهة حملات التنصير:

لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام الحملات التنصيرية، وكانت هناك مواجهة مستمرة، ولا تزال قائمة، للحملات التنصيرية، قام ويقوم بها المسلمون المهتمون بالدفاع عن الدين وكشف مخططات المنصرين.

ومن أبرز الجهود في هذا الصدد ما يلي:

١- الكتب والإصدارات:

والتي تحذّر من مخططات التنصير، وتفضح وسائلهم؛ حيث حفلت المكتبة الإسلامية بمئات الكتب التي تكشف عن هوية المنصرين وأهدافهم ووسائلهم، وأماكن تمركزهم، بدافع زيادة الوعي لدى المجتمعات والشعوب الإسلامية بهذه الحملات.

٢- الفضائيات والمواقع الإلكترونية:

فقد تنبّه بعض الفيورين إلى ضرورة استخدام التقنيات الإعلامية الحديثة في مواجهة مخططات

«ومصطلح الاستشراق يتولى الجانب العلمي في نزع سلطان الدين الإسلامي من النفوس؛ حيث كانت إسهاماتهم موجهة إلى المفكرين والمطلعين والمتقنين، وهم لا يدعون صراحة إلى النصرانية، بل إنهم يتهرون من إلصاق النصرانية بهم، ولكنهم يحققون أهداف المنصرين في حملاتهم ضد الإسلام»^(١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مما يساعد على نجاح هذه الوسائل والأساليب عدة أمور منها:

١- قيامها على دراسات منظمة.
٢- تحديث هذه الوسائل والأساليب وتطويرها؛ حيث تنبّه منظرو التنصير إلى الوسائل، وأجروا عليها تقويمات وتعديلات تتناسب مع الزمان والمكان، وقد أوصلها بعضهم إلى ٧٠٠ طريقة أو خطة، «فهم دائماً يسعون إلى تقويم الأساليب والاستمرار في المؤثر منها، وطرح تلك التي عفا عليها الزمن، وكان هذا من أهم الأهداف التي جاء بها مؤتمر كلورادو بالولايات المتحدة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)؛ حيث سعى إلى تطوير أساليب تنصيرية تتماشى مع معطيات العصر الحديث وتطوراته»^(٢).

٣- قلة الثقافة والوعي عند المسلمين بما يدور حولهم من خطط تنصيرية وعمل دعوب لصرف المسلمين عن دينهم.

٤- تساهل المسؤولين في قبول المؤسسات التنصيرية، واستقبال المنصرين في بلاد المسلمين.

(١) المستشرقون والتنصير، دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين، علي بن إبراهيم الحمد النملة، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ١٧٨.

(٢) تنصير المسلمين، بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كلورادو التنصيري، عبد الرزاق دياربكرلي، ط ٢، الرياض، دار النفايس، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ٦٧.

ودحض شبهاتهم، ومنها الندوة العالمية الدائمة للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وينتظر منها المزيد في اتخاذ الوسائل التي تُعنى بظاهرة التنصير وتعمل على متابعتها ورصدها.

الفرع الثاني: جهود المسلمين بين النجاحات والإخفاقات:

على مستوى الدول العربية؛ سنجد أن الجهود المبذولة أفضلت إلى حد كبير مخططات التنصير، وباءت معظم الحملات والمخططات بالفشل الذريع، وهو عكس الحوادث خارج حدود هذه البلاد، فقد كانت تلك الجهود أقل من أن تصد حملات التنصير بإمكانياتها الباهظة؛ حيث كان للتنصير دور واضح في تقليص الوجود الإسلامي في الكثير من مناطق العالم.

ويمكننا أن نرصد دور التنصير في تقليص وجود المسلمين في الكثير من البلدان، ومنها: (1)

- ١- تقلص عدد المسلمين في صقلية، وقبرص، وكريت، وجميعها كانت جزراً إسلامية خالصة.
- ٢- ضياع الوجود الإسلامي في سورينام، وتقلصه في ترينداد.
- ٣- تقلص الوجود الإسلامي في إثيوبيا.
- ٤- خروج الحكم من أيدي المسلمين في الكثير من البلدان الإفريقية مثل نيجيريا.
- ٥- تحول بعض الممالك المسلمة إلى دول مسيحية، كما تحولت دولة مورو بالفلبين، وفضاني بتايلاند.
- ٦- تحول تيمور الشرقية إلى دولة مسيحية بعد أن كانت جزيرة تيمور بأكملها مسلمة.

التنصير، ولذا رأينا زيادة معتبرة في عدد المواقع الإلكترونية التي تعمد إلى كشف المنصرين، والدفع بالوسائل التي يمكن مواجهتهم بها.

وإضافة إلى ذلك رأينا الفضائيات المتخصصة، وهي على محدودية عددها، إلا أنها تعتبر إضافة جديدة لمواجهة الهجمات التنصيرية.

٣- المناظرات العلمية:

فقد نذر بعض المهتمين أنفسهم لمناظرة القساوسة وأرباب المخططات التنصيرية، وكان لهذه المناظرات أثرها البالغ ليس على تحصيل المجتمعات الإسلامية فقط من غائلة التنصير والوقوع في براهته، بل كانت آثارها تمتد إلى النصارى أنفسهم، وتجذب شرائح منهم لمعرفة الإسلام والدخول فيه.

٤- الرحلات الدينية:

فبعض الجمعيات المعنية بهذا الصراع، أخذت على عاتقها مهمة مواجهة حملات التنصير خارج حدود البلاد العربية، ورحلت إلى البلدان الإفريقية، لصد حملات التنصير الشرسة عن هذه البلدان التي يدين سكانها بالإسلام، ولكنهم يجهلون الكثير عنه، وعن تعاليمه؛ مما يجعلهم عرضة للوقوع في شبهات المنصرين وحيلهم الخبيثة.

٥- الحملات الإغاثية:

فقد تنبعت منظمات الإغاثة إلى الأهمية المتعاظمة لمواقع الكوارث، وكونها عرضة أكثر من غيرها لحملات التنصير، ومن ثم فقد وجدنا بعض هذه المنظمات تُسرع الخطا ليكون لها موطئ قدم في الأماكن التي تتعرض لنكبات وكوارث؛ منافسةً للمنصرين الذين يتوافدون بكثرة هائلة على هذه المواقع، مستغلين حاجة المنكوبين.

٦- المنظمات الدعوية:

فبعض المنظمات الدعوية الإسلامية تقوم بجهد واسع في تثقيف الشباب، ومواجهة حملات التنصير

(1) موسوعة مقال في الصحراء الإلكترونية، رابط:

<http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Denia9/Tanse-ria/index.htm>

الفرع الثالث: التحديات التي تواجه جهود المسلمين

لمواجهة التنصير:

ثمة تحديات متعددة تواجه جهود المسلمين لمواجهة التنصير، لعل أبرزها ما يلي:

١- أن جهود التنصير تقف من ورائها دول عظمى سياسياً واقتصادياً، بالإضافة إلى منظمات عالمية ذات قدرات وإمكانيات هائلة، فيما تفتقد جهود المسلمين مثل هذا الدعم الدولي.

٢- التنصير غالباً ما يقوم على جهد مؤسسي، وهو ما يضمن استمرار هذه الجهود وتطويرها دائماً، بينما جهود المسلمين ما زالت تتبع أساساً من جهود شخصية، تتأثر دائماً بجهود الأفراد ومحدوديتها.

فلا توجد مؤسسة علمية أو تعليمية واحدة تضع من اهتماماتها الأولية والمستمرة والمرسومة: متابعة هذه الظاهرة، ورصد تحركاتها، وإطلاع المهتمين على خططها وأعمالها، وفي المقابل تزداد الجمعيات التنصيرية والجامعات التي تخصصت في تخريج المنصرين.

٣- جهود المسلمين ما زالت في طور رد الفعل، لحماية المجتمعات المسلمة من غائلة التنصير، ومحاولة وقف هذه الحملات، ولم تنتقل بعد إلى الجهد المخطط الذي يأخذ زمام المبادرة وينقل المعركة إلى ديار المنصرين.

٤- قصور الوسائل والأساليب المتخذة لمواجهة حملات التنصير، وعدم مراجعة جدوها وفعاليتها، بينما وصل عدد وسائل التنصير إلى أكثر من مائة وسيلة يتم تعديلها وتطويرها بصورة مستمرة.

٥- بعض الدول العربية والإسلامية تقدم تسهيلات لأعمال التنصير بمبادرة ذاتية، أو تحت ضغوط دولية، في حين تواجه الدعاة المسلمين مصاعب جمة، ليس أقلها تجفيف الدعم المادي اللازم لمواجهة الجهود التنصيرية.

٦- تفتقد جهود المسلمين إلى التنسيق والتخطيط اللازمين لمواجهة مثل هذه الهجمات التنصيرية، وقد تصل في بعض الأحيان إلى التنافس والتضارب الذي يذهب ببعض جهودها سدى.

٧- التصدي للتنصير ما زال جهداً محصوراً بين عدد من الدعاة، ولم يأخذ بعدُ شكلاً عمومياً بين الناس، خاصة بين رجال الأعمال المطالبين بالإسهام في التصدي للتنصير، سواء أكانوا في أماكن أعمالهم، أم في البلاد التي يتعاملون معها، كونهم عصب الأعمال الخيرية والدعوية.

٨- الإصدارات العلمية على تنوعها ما زالت في إطار الجهد الفردي، فلا توجد دورية علمية أو مجلة ثقافية واحدة تخصصت بهذه الظاهرة، يمكن الرجوع إليها لمتابعة أنشطة المنصرين، وفي المقابل نجد مجموعات من المجالات التنصيرية المدعومة من الجمعيات التنصيرية.

المبحث الخامس: مأسسة العمل

لمواجهة التنصير

الدور الفعّال لمواجهة حملات التنصير في بلاد المسلمين يمكن أن يكتمل في حال تأسست هذه الجهود، وانتظمت في مؤسسات ذات أهداف واضحة ومحددة، «فلا بد من جهد مؤسسي وفق منهج مُعد إعداداً دقيقاً وصحيحاً، لدراسة النصرانية دراسة علمية؛ كون العمل المؤسسي صار الأسلوب الأمثل للمواجهة، ويكفي برهاناً من الواقع أن الدول الكبرى في الوقت الحالي دول مؤسسية ليست مرتبطة ارتباطاً كلياً بالأفراد؛ فالولايات المتحدة هي بجملتها مؤسسة ضخمة تضم في ثناياها عدداً هائلاً من المؤسسات مختلفة التخصصات، ولا تتغير استراتيجياتها الرئيسية بتغير أفراد حكوماتها»^(١).

(١) العمل المؤسسي، معناه ومقومات نجاحه، عبد الحكيم بن محمد بلال، مجلة البيان، العدد ١٤٢، رجب ١٤٢٠هـ - نوفمبر ١٩٩٩م

٢- مرحلة النمو: فتجاوز مرحلة البقاء وحده غير كافٍ لإعطاء المؤسسة دورًا ناجحًا ما لم تبدأ بالمسير باتجاه النمو والصعود.

٣ - مرحلة الاستقرار: ونعني بالاستقرار الاحتفاظ بمستوى جيد من النمو يكفل الثبات، ويضمن الاستقرار للمؤسسة في مواجهة أية هزة أو تقلب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، فالوقوف عند مرحلة من النمو معناه الهبوط إلى الأسفل شيئًا فشيئًا.

٤- مرحلة القيادة الرائدة: ونعني بها أن تأخذ المؤسسة دورًا قياديًا رائدًا في مجالاتها وأنشطتها فتصبح عاملاً مؤثرًا في مجالها المحدد.

الفرع الثالث: مزايا العمل المؤسسي وفوائده:

- هناك عدة فوائد ومزايا للعمل المؤسسي، منها: (٤)
- ١- تحقيق مبدأ التعاون والجماعية الذي هو من أسمى مقاصد الشريعة.
 - ٢- تضييق الفجوة بين عمل الدعاة، وردم الهوة بينهم بتحقيق ذلك المبدأ، وتأسيس الأعمال المشتركة بينهم.
 - ٣- تحقيق التكامل في العمل، فكثيرًا مما يحصل من القصور في عمل الفرد يتلاشى في عمل المؤسسة؛ إذ المفترض حدوث التكامل باجتماع الجهود، والمواهب، والخبرات، والتجارب، والعلوم، كما أن العمل الفردي يصطبغ بصبغة الفرد، بينما المفترض أن يخلو العمل المؤسسي من ذلك.
 - ٤- الاستقرار النسبي للعمل، بينما يخضع العمل الفردي للتغير كثيرًا - قوة وضعفًا أو مضمونًا واتجاهًا - بتغير الأفراد، أو اختلاف قناعاتهم.
 - ٥- القرب من الموضوعية في الآراء أكثر من الذاتية؛

ويمكن تناول مأسسة العمل لمواجهة التنصير من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: مفهوم العمل المؤسسي:

العمل المؤسسي «هو كل تجمّع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفاعليته لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبيرة، وفرق عمل، وإدارات متخصصة؛ علمية ودعوية واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرارات، في دائرة اختصاصاتها» (١).

«وليس المراد بالعمل المؤسسي العمل الجماعي المقابل للعمل الفردي؛ إذ مجرد التجمع على العمل، وممارسته من خلال مجلس إدارة، أو جمعية أو مؤسسة لا يجعله مؤسسيًا، فكثير من المؤسسات والمنظمات والجمعيات التي لها لوائح ومجالس وجمعيات عمومية إنما تمارس العمل الفردي؛ لأنها مرهونة بشخص منها» (٢).

ويمكننا تعريف العمل المؤسسي بأنه نظام يتجه نحو تحقيق الأهداف المرجوة وفق علاقة مترابطة في وحدات إدارية ذات خطوط محددة، وقيم تضمن الاستمرار والنمو.

الفرع الثاني: مراحل بناء العمل المؤسسي: (٣)

هناك أربعة مراحل تمر بها كل مؤسسة، وهي:

- ١- مرحلة النشأة والبقاء على قيد الحياة: فالعبء الأساسي في هذه المرحلة يقع على أصحاب المؤسسة، ويتمثل في كيفية مواجهة تحديات البقاء ومعالجتها بنجاح.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تكامل العمل المؤسسي من الولادة إلى القيادة، فاضل الصفار، مجلة النبأ العدد ٥٣ شوال ١٤٢١، يناير ٢٠٠١م، مختصرًا.

(٤) العمل المؤسسي، محمد أكرم العدلوني، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٢٢، مختصرًا، بتصريف يسير.

ترسخ العمل المؤسسي في حياتها؛ لما اعترها من تأصل الفردية، وضعف الروح الجماعية، ولما حلَّ بها من تخلف حضاري، أقعدها عن الأخذ بأسباب الفاعلية والنجاح.

٢- ضعف الملكة الإدارية لدى كثير من العاملين في هذا القطاع؛ بسبب إهمال العلوم الإنسانية التي استفاد منها الغرب، وقد أدَّى هذا الضعف إلى الجهل بالعمل المؤسسي ومقوماته، وأسباب نجاحه؛ فتلاشت الخطط، وأغلقت دراسة الأهداف وإقامة المشاريع،

وصار العمل مجرد ردود أفعال غير مدروسة، أو عواطف غير موجَّهة.

٣- الخلط بين العمل الجماعي والعمل المؤسسي، والظن بأن مجرد قيام الجماعة يعني عملاً مؤسسياً، في حين أن كثيراً من

التجمعات والمؤسسات، لا يصدق عليها حقيقة هذا الوصف؛ لانعدام الشورى، ووجود المركزية المفرطة في اتخاذ القرار.

الفرع الخامس: عوامل نجاح العمل المؤسسي:

ويمكننا إجمال المقومات اللازمة لنجاح العمل

المؤسسي في مواجهة التنصير كالتالي: (٢)

١- وضوح الفكرة التي قامت من أجلها المؤسسة، مع توفر القناعة الكافية بهذا الأسلوب من العمل، بإدراك ضرورته، ومعرفة مزاياه وثمراته، وفهم مقومات نجاحه للوصول به إلى المستوى المطلوب.

٢- تحديد ثوابت ومنطلقات مشتركة للعاملين في المؤسسة تكون إطاراً مرجعياً لهم، توجه خطة العمل، وتناسب المرحلة والظروف التي تعيشها المؤسسة.

حيث يسود الحوار الذي يفرض قيامه وضع معايير محددة وموضوعية للقرارات تنمو مع نمو الحوار، في حين يبنّي العمل الفردي على قناعة صاحبه.

٦- دفع العمل نحو الوسطية والتوازن؛ إذ اجتماع الأفراد المختلفين في الأفكار والاتجاهات والقدرات يدفع عجلة العمل نحو الوسط.

٧- توظيف كافة الجهود البشرية، والاستفادة من شتى القدرات الإنتاجية؛ وذلك لأن العمل المؤسسي يوقّر لها جو الابتكار والعمل والإسهام في صنع القرار، بينما هي في العمل الفردي

أدوات تنفيذية رهن إشارة القائم بالعمل.

٨- ضمان استمرارية العمل - بإذن الله تعالى - لعدم توقفه على فرد يعتريه الضعف والنقص والفتور.

٩- عموم نفعه للمسلمين؛ لعدم

ارتباطه بشخصية مؤسسه، وهذا بدوره ينمي الروح الجماعية الفاعلة، ويحيي الانتماء الحقيقي للأمة، وهذا مكن قوتها.

١٠- مواجهة تحديات الواقع بما يناسبها؛ فإن الأمة اليوم يواجهها تحدٍ من خارجها مؤسسي منظم؛ ومواجهته لا ينهض به مجرد أفراد لا ينظمهم عمل مؤسسي، كما لا ينهض أفراد الناس لتحدي العمل المؤسسي في مجالات الحياة الاقتصادية، أو السياسية، أو الإعلامية، أو غيرها.

١١- الاستفادة من الجهود السابقة والخبرات التراكمية، بعد دراستها وتقويمها بدقة وإنصاف وحيادية، وبذلك يتجنب العمل تكرار البدايات من الصفر الذي يعني تبديد الجهود والعبث بالثروات.

الفرع الرابع: أسباب الإحجام عن العمل المؤسسي:

ولهذا الأمر خلفيات، منها: (١)

١- طبيعة المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وعدم

(٢) العمل المؤسسي، معناه ومقومات نجاحه، ص ٢١، مرجع سابق، بتصرف.

(١) العمل المؤسسي، معناه ومقومات نجاحه، مرجع سابق، بتصرف.

القانوني لبدء العمل وفق شروطه المرعية في مكان توажدها .

الفرع السادس: مهام مؤسسات مواجهة التنصير:

والمهام الأساسية لهذه المؤسسات تتسع لتشمل:

١- وضع الخطط العامة والاستراتيجيات والأهداف، وابتكار الوسائل ومتابعتها لمواجهة التنصير .

٢- إنشاء مراكز تدريب للدعاة المتخصصين في مواجهة التنصير، وتنظيم ورش عمل متتابعة في هذا الشأن، واقتراح مناهج للإعداد العلمي لمن يقومون بهذا الأمر، أو يشرفون عليه، ويعيدون تدريب المعينين في بلدانهم على ما تعلموه .

٣- «إصدار دورية علمية وأخرى ثقافية تعنيان بالتنصير، وتتابعان تحركاته؛ حيث تخلو الساحة من هذه الإصدارات، وترجمة الكتب النافعة والرسائل الموجزة، ونشرها بين الأقليات المسلمة وبين المسلمين عمومًا ممن لا يتحدثون اللغة العربية، وتكليف من يجيدون اللغات بترجمة بعض ما يُنشر من مؤتمرات المنصّرين ووقائع لقاءاتهم وجهودهم في حملاتهم؛ وذلك رغبة في إطلاع الأمة على ما يراد بها»^(١)

٤- تنسيق الجهود المبذولة لمواجهة التنصير، ووضع منظومة تضمن استغلال كافة الجهود بصورة علمية دون تعارض .

وختاماً فإنه لا يكفي أن يهتم العاملون في مجال التنصير بإقامة المؤسسات ورعايتها، بل لا بد من العمل على توفير عناصر النمو والابتكار والتجديد؛ حتى تؤتي المؤسسة أكلها، وتدفع عن الأمة غائلة هذه الحملات.

٢- وجود قيادة مؤهلة وقادرة على ابتكار الرؤى البعيدة، وصياغة الأهداف، ووضع الاستراتيجيات، وتحقيق التعاون، وتحفيز الطاقات .

٤- توفر رأس المال الكافي، من مصادر تمويل ذاتية ومتنوعة ومستمرة مع الحفاظ على الاستقلالية بالتصرف .

٥- الكفاءة المؤسسية، وتعرف بأنها فاعلية المنظمة في استخدام مواردها المتاحة لتحقيق أهدافها بشكل أمثل، وتشمل فاعلية التخطيط، وفاعلية التنفيذ، وفاعلية التقويم، وفاعلية الاتصالات، وإتقان التخطيط، وتحديد الأهداف لتنفيذها، وتوزيع الأدوار، وهذا يتطلب مستوى جيداً في إعداد القادة والمسؤولين، وتدريب العاملين مع الاستفادة من كل الإمكانيات، وتوظيف جميع الطاقات، بعد التعرف عليها جيداً .

٦- أن تكون مجالس الإدارة أو اللجان غير محصورة في بيئة واحدة، محكومة بأطر تنشئة وتربية وتفكير محددة، مما يؤثر على طبيعة اتخاذ القرار، فوجود أفراد من بيئات مختلفة ضمن هذه المجالس، يثري العمل المؤسسي بتوسيع أنماط التفكير، وتعدد طرق التنفيذ .

٧- أن تسود لغة الحوار، حتى تتلاقح الآراء للخروج بأفضل قرار، وأيضاً حتى يخضع الرأي الشخصي لرأي المجموعة، مع التسامي عن الخلافات الشخصية، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، وهذا يتم بتحسين الاتصال والتواصل، بين أفراد المؤسسة بعضهم مع بعض، وبينهم وبين سائر العاملين في الحقل المقصود .

٨- جذب عدد كافٍ من العاملين الأكفاء المنجزين والمتحمسين والمقتنعين .

٩- وجود نظام للرقابة والمتابعة والتقويم المستمر للتأكد من سلامة التخطيط والتنفيذ .

١٠- مشروعية المؤسسة، والحصول على الترخيص

(١) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته أ. د. علي بن إبراهيم الحمد النملة، ص ٨٢ وما بعدها، بتصرف .

معلومات إضافية

شخصيات ومحطات في تاريخ التنصير:

- ١- ريمون لول: أول نصراني توّلى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها؛ إذ إنه تعلم اللغة العربية بكل مشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين.
- منذ القرن الخامس عشر، وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المنصرون الكاثوليك إلى إفريقيا، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إرساليات تنصيرية بروتستانتية كثيرة إنجليزية وألمانية وفرنسية.
- ٢- بيتر هليغ: احتك بمسلمي سواحل إفريقيا منذ وقت مبكر.
- ٣- البارون دوبيتز: حرك ضمائر النصارى منذ عام ١٦٦٤م إلى تأسيس كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي.
- ٤- المستر كاري: فاق أسلافه في مهنة التنصير، وقد ظهر إبّان القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر.
- ٥- كان للمنصر هنري مارتن يد طولى في إرسال المنصرين إلى بلاد آسيا الغربية، وقد ترجم التوراة إلى الهندية والفارسية والأرمنية.
- في عام ١٧٩٥م تأسست جمعية لندن التبشيرية، وتبعها أخريات في اسكتلندا ونيويورك.
- في سنة ١٨١٩م اتفقت جمعية الكنيسة البروتستانتية مع النصارى في مصر، وكوّنت هناك إرسالية عهد إليها نشر الإنجيل في إفريقيا.
- ٦- دافيد ليفنستون ١٨١٣ - ١٨٧٣م: رحّالة بريطاني، اخترق أواسط إفريقيا، وقد كان منصرًا قبل أن يكون مستكشفًا.
- في سنة ١٨٤٩م أخذت ترد إرساليات التنصير إلى بلاد الشام، وقد قامت بتقسيم المناطق بينها.
- وفي سنة ١٨٥٥م تأسست جمعية الشبان المسيحية من الإنجليز والأمريكان، وقد انحصرت مهمتها في إدخال «ملكوت المسيح» بين الشبان كما يزعمون.
- في سنة ١٨٩٥م تأسست جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم، وهي تهتم بدراسة أحوال التلاميذ في كل البلاد، مع العمل على بثّ روح المحبة بينهم (المحبة تعني التبشير بالنصرانية).
- ٧- صموئيل زويمر Zweimer: رئيس إرسالية التنصير العربية في البحرين، ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية التي أنشأها سنة ١٩١١م، وما تزال تصدر إلى الآن من هارتيفورد.
- دخل زويمر البحرين عام ١٨٩٠م، ومنذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل. وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسسها زويمر كان في حقل التطبيب في منطقة الخليج، وتبعًا لذلك فقد افتتحت مستوصفات لها في البحرين والكويت ومسقط وعمان. ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث،

وقد أُسس معهداً باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين.

٨- كنيث كراج K.Cragg : خلف صموئيل زويمر على رئاسة مجلة العالم الإسلامي، وقام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت، وهو رئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتيفورد بأمريكا، وهو معهد للمنصرين، ومن كتبه «دعوة المثذنة» صدر عام ١٩٥٦م.

٩- دانيال بلس: يقول: «إن كلية روبرت في إسطنبول (الجامعة الأمريكية حالياً) كلية مسيحية غير مستترة لا في تعليمها ولا في الجو الذي تهيئه لطلابها؛ لأن الذي أنشأها منصر، ولا تزال إلى اليوم لا يتولى رئاستها إلا منصر.

١٠- الأب شانتور: رأس الكلية اليسوعية في بيروت زمناً طويلاً أيام الانتداب الفرنسي.

١١- مستر نبروز: ترأس جامعة بيروت الأمريكية عام ١٩٤٨م يقول: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان».

١٢- دون هك كري: كان أكبر شخصية في مؤتمر لوزان التنصيري عام ١٩٧٤م، وهو بروتستانت، عمل منصراً في باكستان لمدة عشرين سنة، وهو أحد طلبة مدرسة فلر للتبشير العالمي. وبعد مؤتمر كولورادو التنصيري عام ١٩٧٨م أصبح مديراً لمعهد صموئيل زويمر الذي يضم إلى جانبه داراً للنشر ولإصدار الدراسات المختصة بقضايا تنصير المسلمين ومقرها في كاليفورنيا، وهو يقوم بإعداد دورات تدريبية لإعداد المبشرين وتأهيلهم.

أبرز مؤتمرات التنصير:

١- مؤتمر القاهرة عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م، وقد دعا إليه زويمر بهدف عقد مؤتمر يجمع الإرساليات التنصيرية البروتستانتية للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، وقد بلغ عدد المؤتمرين ٦٢ شخصاً بين رجال ونساء، وكان زويمر رئيساً لهم.

٢- المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبرة باسكتلندا عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م، وقد حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تنصيرية في العالم.

٣- مؤتمر التبشير في كهنؤ بالهند عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م حضره صموئيل زويمر، وبعد انفضاض المؤتمر وزعت على الأعضاء رقاع مكتوب على أحد وجهيها «تذكار كهنؤ سنة ١٩١١م»، وعلى الوجه الآخر «اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع، انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح».

٤- مؤتمرات التنصير في القدس: عُقدت أربعة مؤتمرات تنصيرية في القدس في أعوام:

أ- ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م.

ب- ١٩٢٨م مؤتمر تنصيري دولي.

ج- ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م وقد كان يضم ١٢٠٠ مندوب.

د- ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٥- مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام ١٩٧٤م في لوزان بسويسرا.

٦- وأخطر المؤتمرات هو مؤتمر كولورادو في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) حضره (١٥٠) مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق، وقدمت فيه بحوث حول التبليغ الشامل للإنجيل، وتقديمه للمسلمين والكنائس الديناميكية في المجتمع المسلم، وتجسيد المسيح، وتحبيبه إلى قلب المسلم، ومحاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين، وتحليل مقاومة واستجابة المسلم، واستخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين، وتشيط دور الكنائس المحلية في تنصير العالم الإسلامي.

وقد انتهى المؤتمر بوضع استراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار، وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً، وتم إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى.

٧- المؤتمر العالمي للتنصير الذي عُقد في السويد في شهر أكتوبر ١٩٨١م تحت إشراف المجلس الفيدرالي اللوثراني الذي نوقشت فيه نتائج مؤتمري لوزان وكولورادو، وخرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار بهدف التركيز على دول العالم الثالث.

٨- مؤتمر مدارس التبشير في بلاد الهند، ينعقد هذا المؤتمر كل عشر سنوات.

٩- مؤتمر بلتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٤٢م وهو مؤتمر خطير جداً، وقد حضره من اليهود بن غوريون.

١٠- بعد الحرب العالمية الثانية اتخذت النصرانية نظاماً جديداً؛ إذ ينعقد مؤتمر للكنائس مرة كل ست أو سبع سنوات منتقلاً من بلد إلى آخر:

أ- مؤتمر أمستردام ١٩٤٨م - هولندا.

ب- مؤتمر ايفانستون ١٩٥٤م - أمريكا.

ج- مؤتمر نيودلهي ١٩٦١م - الهند.

د- مؤتمر أوفتالا ١٩٦٧م - أوفتالا بأوروبا.

ل- مؤتمر جاكرتا ١٩٧٥م - إندونيسيا، وقد اشترك فيه ٣٠٠٠ منصر.

م- عقد المؤتمر السادس لمجلس الكنائس العالمي في يوليو سنة ١٩٨٠م في كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وقد حث المؤتمر على ضرورة زيادة البعثات التنصيرية بين مسلمي الشرق الأوسط خاصة في دول الخليج العربي.

المصدر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية.